

## النظريات الدلالية الحديثة-مطارات نظرية-

د. ياسين بغورة

جامعة برج بوعريريج

الملخص:

اهتمت الدراسات اللغوية بالمعنى اهتماماً بالغاً، أدى بها إلى محاولة بلورة أفكارها ضمن رؤى تنظرية تتميز بالشمولية في الدراسة والعلمية في الأهداف، ولا شك أن الدراسات والأبحاث اللغوية المقدمة من قبل مدرسة "براغ" التي ركزت اهتمامها على الصوت والدلالة، ومدرسة "كوبنهاجن" التي اهتمت بدراسة العلامة اللغوية قد رسم للغويين الحداثيين اتجاهات واضحة نحو إرساء علمي لنظرية الدلالة، دون نسيان جهود العالم اللغوي السويسري دوسوسير حيث كانت لأبحاثه وآرائه ومنهجه في الدراسة الألسنية الأثر الكبير في مسار علم الدلالة الحديث، وإذا عدنا إلى مصطلح "النظرية اللغوية" فإننا نجد يوحى باكتمال في الرؤية والوصول إلى نتائج علمية واعدة. الكلمات المفتاحية: نظرية ، الدلالة، الحداثيين، اللغوية.

Abstract:

The linguistic study interest in the sense, led to the attempt to crystallize its ideas within the visionary perspectives characterized by universalism study and global goals. Undoubtedly the studies and linguistic research provided by "Prague" school which focused on the sound and significance. "Copenhagen" school focused in the study of the linguistic mark. That have drawn to the modern linguists a clear trend towards the scientific establishment of significance theory. Without forgetting the efforts of the Swiss linguistic "DE SAUSSURE", where his research, views and methodology in the study had a great impact on the path of modern semantics. "Linguistic theory" suggests the completion of the vision and access to promising scientific results.

Keywords: theory, semantics, modernists, linguistics

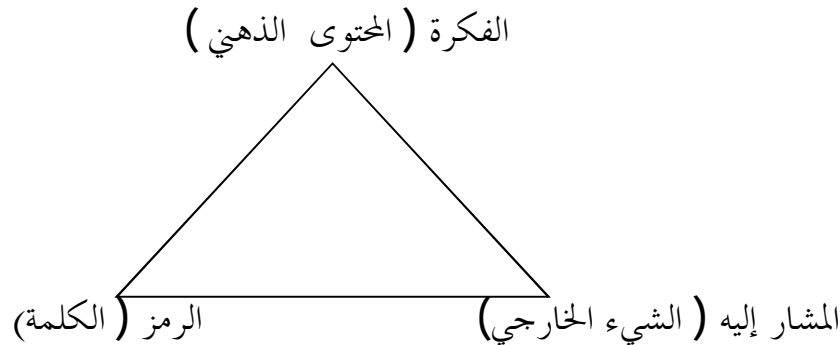
إن الإسهامات الكبيرة التي قام بها علماء اللغة واهتمامهم الكبير بالمعنى، مكنهم من محاولة إرساء علمي لنظرية الدلالة. ومصطلح النظرية اللغوية، يوحى بوعي كبير واكتمال في الرؤى العلمية، لكن الواقع يثبت أن الدراسات اللغوية و الدلالية لازالت تحتاج إلى بحث وتعمق للوصول إلى نتائج ونظريات أوسع وأدق، والبحث اللغوي الحديث لم تكتمل حلقاته بعد، فلا زالت الإضافات العلمية التي تقدم تأويلات جديدة لظاهرة لغوية تخص الدلالة، ومع ذلك تأسست نظريات تناولت مسألة "المعنى" من كل جوانبها، مما أدى إلى تعمق البحث وتشعبه في متعلقات المعنى اللغوية وغير اللغوية، وحاولت تقديم معايير موضوعية تحسم في كل القضايا الدلالية التي هي موضع خلاف بين اللغويين، إلا أنها بهذا فتحت أبواباً أخرى للبحث والنقاش والاختلاف وتوسعت رقعة البحث وتباينت فيه آراء العلماء في تناول القضايا وطرحها وطرائقها وتأويلها ومعاييرها، وتولدت عن ذلك أفكار رغم أهميتها إلا أنها لم ترتق إلى مصاف النظرية العلمية، وذلك لافتقارها صفة الشمولية في تناول ووقوعها أسيرة لمناخ فكري إيديولوجي ميز العصر، والاختلاف في الرؤية النظرية بين العلماء يرجع إلى اختلاف في المنهج أو الطريقة المعتمدة في الدراسة، وإذا أمعنا النظر في النظريات الغربية الحديثة التي اهتمت بالدلالة نجد أنها تنوزع على خمسة حقول تخضع لخمسة مناهج تبناها اللغويون في التنظير، "أما المنهج الأول فهو المنهج الشكلي الصوري الذي يصف المدلولات لاعتبارات تركيبية وتعبيرية و أسلوبية بالنظر إلى الشكل الذي يجمعها في بنية واحدة وهو تفرعها عن أصل واحد".<sup>1</sup>

أما المنهج الثاني فهو المنهج السياقي الذي يتم من خلاله تصنيف المدلولات لاعتبارات تركيبية وتعبيرية وأسلوبية، والمنهج الموضوعي المقامي النفسي فهو الذي يحدد مدلول اللفظ والخطاب اللغوي باعتبار حال المتكلم ومقامه وموقفه، أما المنهج الرابع فهو منهج الحقول الدلالية المهتم بتحديد البنية الداخلية للمدلول واعتبار القرابة الدلالية والعلائقية بين المدلولات ( المفاهيم)، أما المنهج الخامس فهو منهج التحليل المؤلفاتي الذي تنكشف معه البنية العميقة للخطاب بتحليل اللفظ إلى مؤلفاته وعناصره<sup>2</sup>، فلا تغفل الإشارة إلى أن الدراسة الدلالية العربية لها مرجعيتها التاريخية و الفكرية وتخضع لتصورات اجتماعية معينة لا يمكن إسقاطها من أي مراقبة علمية، والنظرية العربية نفسها استمدت روحها وقواعدها وتطبيقاتها من لغات أجنبية، وهذا لا يعدّ مانعاً من الاستفادة من أفكارها في تعاملنا مع تراثنا العربي، كون اللغة العربية واحدة من مجموعة اللغات الطبيعية وتشارك مع غيرها في عدّة خصائص صوتية وتركيبية ودلالية، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات<sup>3</sup>.

و أهم النظريات التي اهتمت بالمعنى هي :

### 1- النظرية الإشارية:

تعتبر هذه النظرية الخطوة الأولى في مراحل النظر العلمي في نظام اللغة، ويرجع الفضل لأصحابها في تمييز أركان المعنى وعناصره، معتمدين في ذلك على النتائج التي توصل إليها (دوسوسير) في أبحاثه اللسانية والتي خصّ بها الإشارة اللغوية باعتبارها الوحدة اللغوية المتكونة من دال ومدلول، فالدال هو الإدراك النفساني للكلمة الصوتية، والمدلول هو الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تقترب بالدال، ورغم اختلاف أصحاب هذه النظرية في الرؤى فإنّ أغلبهم أطلق على النظرية مصطلح "النظرية الاسمية في المعنى"<sup>4</sup> ويعود الفضل للعلمين الانجليزيين "أوجدن" و "ريتشاردز" في منح النظرية الإشارية الصبغة العلمية من خلال مثلثهما الذي يميز عناصر الدلالة بدءاً بالفكرة أو المحتوى الذهني ثم الرمز أو الدال، وانتهاء إلى المشار إليه أو الشيء الخارجي.



إن هذا التقسيم المتميز للمعنى أعطى للبحث الدلالي نفساً جديداً يعطي انطلاقة لنظريات جديدة وأفكار مهمة. فالدراسات الدلالية الحديثة تدور كلها في فلك مثلث "أوجدن وريتشاردز" فقد ركزت أبحاثها إما على عنصر من العناصر الثلاثة، أو عنصرين منها وإما على العناصر الثلاثة كلها استناداً على أن "معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها وهنا يوجد رأيان:

أ- رأي يرى أنّ معنى الكلمة هو ما تُشير إليه.

ب- رأي يرى أنّ معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يُشير إليه.

فدراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبيين من المثلث وهما جانبا الرمز والمشار إليه، وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة لأنّ الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية<sup>6</sup>

إذن هذا التقسيم كان له الفضل في نشأة نظريات المدلول التي كان موضوعها الدلالة وأقسامها، وأسهم في ظهور نظريات اهتمت بدراسة الإشارة اللغوية، وفي هذا الإطار نشأت فكرة العلامة أو السمة مما ساهم في ميلاد علم جديد هو علم السيميولوجية، وشكلت دراسة "الصورة الذهنية" عقبة أمام الباحثين، مما فتح مجالا واسعا لأبحاثهم واكتناف عوامل خفية أطلق عليها بعضهم "عالم المفاهيم" وسموها البعض الآخر "العوالم الدلالية" التي تمثل إحدى الدعامات الرئيسية في نظرية الأوضاع التي تشكل الامتداد الطبيعي للنظرية الإشارية.<sup>7</sup>

ومصدر الدلالة في اعتقاد نظرية الأوضاع يكمن في المراجع الموجودة في العالم الخارجي وتبرز دلالة ما لصيغة معينة بواسطة مجموع العلاقات المتشابهة بين جملة الأوضاع، "المكان الطبيعي للمعنى هو العالم الخارجي لأن المعنى يبرز في العلاقات المطردة بين الأوضاع والمعنى اللغوي يجب أن ينظر إليه في إطار هذه الصورة العامة للعالم، عالم مليء بالمعلومات و أجسام موفقة لالتقاط جزء من هذه المعلومات".<sup>8</sup>

والدلالة لا يتم الوصول إليها معجميا وإنما مروراً برصد جملة العلاقات التي تحددها الأوضاع في العالم الخارجي، إذن "الفكرة الرائدة في دلالة الأوضاع هي أن معنى جملة يتحدد بعلاقة الكلام والوضع الموصوف" <sup>9</sup> ويرى (بومتن) أن عالم المفاهيم المودع في العالم الخارجي أضخم بكثير مما هو في الرأس، فالمفاهيم هي الأساس الذي انبنت عليه نظرية الأوضاع التي تنظر إلى المعنى أنه علاقة بين الكلام المنتج والأوضاع الموصوفة، وهذه النظرية تركز كذلك على الدلالة الخارجية للغة وانصهار المعلومات اللغوية ضمن التيار المعلوماتي، ومرد ذلك أن المعنى لا يتموضع في العالم الخارجي ولا في النفس وإنما يتموضع في عالم المفاهيم.<sup>10</sup>

## 2- النظرية التصورية:

تعود جذور هذه النظرية إلى الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) الذي سماها النظرية العقلية، ونادى فيها بأن استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار، والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص<sup>11</sup>، "وقد أطلق بعض الباحثين على هذه النظرية اسم النظرية الفكرية لأن الكلمة تشير إلى فكرة في الذهن وأن هذه الفكرة هي معنى الكلمة" <sup>12</sup>

ونتيجة للطابع التجريدي الذي وسم النظرية التصورية، فإن العلماء المتأخرين أسسوا أفكارهم على معطيات حسية تقع تحت الملاحظة والمشاهدة، وأرجعوا الدلالات كلها إلى تلك التصورات التي تحقق الأثر العلمي، والجدير بالذكر أن أفكار هذه النظرية صحيحة تقترب كثيرا من فكرة النظرية السلوكية التي تنبني على مبدأ المنبه والاستجابة إلا أن تحديد مرجعية الآثار إلى التصورات الذهنية تلحق تلك الفكرة بالنظرية التصورية<sup>13</sup>، حيث رأى بيرس أن تصورنا لشيء ما يتألف من تصورنا لآثاره العملية، فالتيار الكهربائي مثلا لا يعني مرور موجه غير مرئية في مادة ما، وإنما يعني مجموعة من الوقائع مثل إمكان شحن مولد كهربائي أو أن يدق جرس، وأن تدور الآلة، وإذن فمعنى كهرباء هو ما تفعله، وإذن فالتصورات المختلفة التي تحقق نتيجة عملية واحدة وإنما هي تصور واحد أو معنى واحد، والتصورات التي لا ينتج عنها آثار لا معنى لها.<sup>14</sup>

إن عالم الأفكار عالم مستقل بذاته فالدلالات واحدة في جميع اللغات وإنما الاختلاف أتى من تباين الألسنة، وذهب علماء الألسنة المحدثون إلى افتراض وجود عوالم دلالية يجب البحث عن معالمها وسننها بناء على البنية الدلالية حتى أن اللغويين المتأخرين اعتبروا أن التصورات والأفكار هي كيان مستقل قد يستغني عن اللغة إذا أراد الأفراد ذلك.

" الأفكار التي تدور في أذهاننا تملك وجودا مستقلا ووظيفة مستقلة عن اللغة وإذا قنع كل منا بالاحتفاظ بأفكاره لنفسه، كان من الممكن الاستغناء عن اللغة." <sup>15</sup>

وما دام أن النظرية التصويرية تعتبر أن المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلم ويحصل للسامع حتى يتم التواصل والإبلاغ، فإن عالم الأشياء غير متجانس كما أن التصورات متباينة من فرد لآخر، فتصور "شجرة" مثلا يحمل جملة من الدلالات المختلفة اختلافا قد يكثر أو يقل بحسب وجود هذا التصور داخل عالم الأشياء، كما أن هناك كلمات لا تحمل تصورا باعتبارها لا تنتمي لعالم الأشياء، كالأدوات والحروف وما إلى ذلك<sup>1</sup>، إذن مجال النظرية التصويرية يركز على مبدأ التصور الذي يمثله المعنى الموجود في الذهن عكس النظرية الإشارية التي عكفت على دراسة الإشارة كأساس للولوج إلى دراسة ما يتعلق بها من عناصر المعنى.

### 3- المدرسة السلوكية الأمريكية:

تطورت النظرية السلوكية وأخذت مسارها الطبيعي على يد اللساني الأمريكي بلومفيلد Bloomfield<sup>2</sup> وهو متأثر في هذا بسلوكية "ألبرت بول فايس" كما عرضها في كتابه الأساس النظري للسلوك الإنساني، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك الإنساني يوصف أكمل وصف وأدق عن طريق اعتبار الظواهر الفيسيولوجية وغيرها من الظواهر المادية التي تصحب سلوك الأفراد، ولا يتأتى عندهم دراسة الظواهر الإنسانية دراسة علمية إلا بهذا الطريق، ولما كانت اللغة ظاهرة إنسانية فيصدق على دراستها ما يصدق على دراسة سائر الظواهر الإنسانية، ونجد في دراسات بلومفيلد اللغوية مصطلحات مثل "الاستجابة، الاستجابة البديلة، المثير البديلي". وعندما تحدث "بلومفيلد" عن معنى الكلمة وعن معنى النطق عامة، قال إنه ينبغي أن يعرف عن طريق أحداث عملية أي فيسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها، فمعنى "الجوع" مثلا في قولي: أنا جائع، يعرف بالتقلص العضلي وما يحدث في المعدة من إفرازات وما قد يصحب ذلك من عطش. ويرى بلومفيلد أننا نستطيع أن نعرف كلمة مثل (الملح) عن طريق عناصره الكيماوية المكونة له، وأكبر دليل على فكرة بلومفيلد، استحضاره لمثاله المشهور والمعروف بـ "جاك وجيل والتفاحة"، فيفترض أن جاك وجيل يسيران في الطريق، وتشعر "جيل" بالجوع ثم ترى تفاحة على شجرة فتحدث ضجة في حنجرتها ولسانها وشفثتها، فيقفز جاك على السور ويتسلق الشجرة ويحضر التفاحة فتأكلها "جيل"<sup>16</sup>.

و يفسرها السلوكيون أن جيل حين تكون جائعة، عضلات معدتها تقلص وتنقبض و تندفق العصارة المعوية، ورؤيتها للتفاحة يعني وجود موجات ضوئية تسقط من التفاحة على عيني جيل، وهو مثير، أما الاستجابة المباشرة فهي أن جيل تتسلق بنفسها الشجرة وتحضر التفاحة، ولكن بدلا من ذلك فهي تقوم باستجابة بديل على شكل سلسلة من الأصوات عن طريق أعضاء النطق وهي مثير بديل بالنسبة إلى "جاك"، بحيث تجعله يتصرف كما لو كان جائعا ورأى التفاحة.<sup>17</sup> ونجد أن لهذه لتفسيرات اعتراضات عدة أهمها يكمن في عدم حدوث استجابة من قبل جاك، فرما كانت جيل تعرف رفض جاك لطلب التفاحة - من تجاربها السابقة ومعرفتها لجيل - فهذا يؤثر الجوع على أن تطلب منه طلبا تراه يُرفض، وهكذا فإن جيل قد قامت بحركات قليلة في حلقها وفمها أنتجت ضجة قليلة هي "الكلام"، فقام جاك بردود الأفعال، وأدى أعمالا كانت فوق طاقة "جيل" وهكذا حصلت جيل آخر الأمر على التفاحة، إذن فاللغة تمكن شخصا من إحداث رد الفعل عندما يتوفر المثير لدى الشخص الآخر، وهكذا يرى بلومفيلد أن تنظيم المجتمع الإنساني كله يتم عن طريق اللغة، أما الآن فسننظر إلى القسم الثاني من القصة وهو "الكلام" وهذا هو الذي يعيننا، وبلاستعانة بالفيسيولوجية والفيزياء نستطيع أن ندرك كيف تمت عملية "الكلام" من الناحية الصوتية، لقد قام جهاز نطق جيل بحركات عضلية

معينة لإصدار هذه الأصوات والحركات العضلية التي يقوم بها المتكلم تعد "رد فعل" لدافع "مثير"، ورد الفعل هنا ليس ردا فعليا، كأن تحاول "جيل" أن تقفز على السور وتحضر التفاحة لنفسها، فيعتبر رد فعل بدلي لغوي، أي أن الكلام حل محل العمل الذي كان من المحتمل أن يصدر عنها ثم إن الموجات الصوتية الخارجة من فم "جيل" قد جعلت الهواء المحيط يضطرب على شكل موجات ماثلة، وأخيرا طرقت هذه الموجات الصوتية طبلي أذني "جاك" وذبدبتهما، وأثرت هذه الذبدبات على أعصابه، لقد سمع جاك الكلام وأحدث هذا السماع لدى جاك دافعا أو مثيرا فسلك السلوك الذي ذكرناه، فإحساس جيل بالجوع كان دافعا قويا لجاك وأثر على سلوكه العملي، فجاك من حيث هو شخص متكلم ظهر رد الفعل عنده على نوعين مختلفين من المثيرات : أحدهما المثيرات العملية ( كالجوع ورؤية الطعام) والثاني من المثيرات الكلامية أو " البديلة " وهي ذبدبات مغنية في طبلي أذنه، ونقول في الأخير أن بلومفيلد يدخل في اعتباره بعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام، ويعتبرها عنصرا لازما لإدراك معنى الكلام، فهذه المدرسة لا تتجاهل العناصر الاجتماعية ولكنها تعبر عنها بمصطلحات خاصة بها، إنما لا تتجاهل شخصية المتكلم وشخصية السامع وبعض الظروف المحيطة بالكلام، بل إن هذه المدرسة بعنايتها بتحليل المظاهر الفسيولوجية والفيزيائية خاصة قد وجهت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير الكلام، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة.<sup>18</sup>

إذن اهتمام المدرسة السلوكية كان منصباً حول كيفية توزيع الوحدات اللغوية في السلسلة الكلامية وقيامها بوظائفها أو بالسلوك الذي يحدث عند المتكلم ويجب مراعاته عند دراسة المعنى واللغة.<sup>19</sup>

#### 4- النظرية السياقية الإنجليزية (الاجتماعية):

يعدّ "فيرث" المؤسس الفعلي لهذه المدرسة، فقد طور في مذهب هذه المدرسة، ورأى أن الوصول إلى المعنى يتطلب، تحليل النص اللغوي صوتيا وفونولوجيا وصرفيا ونحويا ومُعجميا، وبيان سياق الموقف من شخصية المتكلم والسامع وجميع الظروف المحيطة بالكلام، وكذا بيان نوع الوظيفة الكلامية من التمني أو الإغراء أو الترغيب والترهيب، والكشف عن الأثر الذي يتركه الكلام في السامعين من الحزن والألم أو الفرح والسرور<sup>20</sup>، لكننا إذا أمعنا النظر في آراء هذه النظرية لوجدناها تعتمد اعتمادا كبيرا على آراء "برونسلاو مالينوفسكي" العالم الأنثروبولوجي البولندي ودراساته أدت به إلى نظرية قيمة في اللغة فيما يتعلق بدراسة الكلام بوجه خاص، ووصل إلى أن اللغة نوع من السلوك وضرب من العمل، إنما تؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل، وهي ليست كما يرى التعريف التقليدي وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها أو نقلها، واستعمل "مالينوفسكي" مصطلح

( سياق الحال ) ولفظة ( سياق ) كانت متداولة بين اللغويين من قبله ولا تزال متداولة بينهم ولكن " مالينوفسكي " أضفى على الاصطلاح (سياق الحال)، ثم تطور هذا المصطلح تطورا آخر باستعمال "فيرث" له في دراسته اللغوية، وسياق الحال عند فيرث نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وهذا التجريد يقوم به اللغويون للوفاء بدراساتهم<sup>21</sup>، وهو يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما وكتابة، وأصحاب هذا الاتجاه "يدرسون الكلمة متجاوزين أصل الدلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، إذ اهتموا بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق والطريقة التي تستعمل بها، حتى أن منهم من جرد الكلمات من المعنى مطلقا ما لم تكن في السياق، وهو مذهب لا يخلو من مبالغة"<sup>22</sup>

وسياق الحال هو "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية:

1- شخصية المتكلم والسّامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسّامع -إن وجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي ودورهم أيقنصر على الشهود أم يشاركون من آن لأن بالكلام، والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي وكمكان الكلام.. إلخ.

وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضروب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيا كانت درجة تعلّقه.

3- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك.. إلخ<sup>23</sup>

إذن يتضح أنه من خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الموقف الكلامي.

إن المعنى عند "فيرث" كل مركّب من مجموعة الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصّوتية، ثمّ المورفولوجية والتّحوية والقاموسية والوظيفية الدلالية لسياق الحال، ولكلّ وظيفة من هذه الوظائف منهجه الذي يراعى عند دراستها، وما تجدر الإشارة إليه أنّ التحليلات اللّغوية كلّها على المستويات المختلفة ليست المعنى ولا هي دراسة المعنى، فلا بدّ للوصول إلى المعنى من خلال الرّبط بين النّتائج تُوصّل إليها هذه التحليلات جميعاً<sup>24</sup> فالدراسة الاجتماعية للمعنى نجدها تبتعد عن الثنائية التقليدية، هي ثنائية اللفظ والمعنى أو الكلمة والمضمون، فهي تعتبر الكلام نوعاً من السلوك الاجتماعي مرتبط بعناصر أخرى غير لغوية.

## 5- نظرية الحقول الدلالية:

تعد من أقدم النظريات في تحليل عناصر المعنى اللغوي، وقد كانت بداياتها عبارة عن إشارات وتلميحات تتصل ببعض استعمالات مصطلح حقل، أو حول استخدام مفهوم الحقل اللغوي، أو الذي عرض لأفكار تتصل بالحقل، "عرفت المجالات اللغوية عند علماء اللغة أنّها تصنيف للألفاظ المستعملة في نص من النصوص أو لغة من اللغات، ترتبط فيما بينها برابط دلالي معين، والحقل الدلالي أو المعجمي هو مجموعة متكاملة من الكلمات ترتبط دلالاتها بمجال يعبر مجموعها عنه، وعلاقة هذه النظرية بالمعنى أنّ معرفة الحقل الذي تنتمي إليه الكلمة يساعد في تعريف معناها، كما أنّ موقع الكلمة بين أخواتها في الحقل يعني درجة من تحرير معناها في الحقول المقابلة لذلك الترتيب"<sup>25</sup>، و يقصد بالحقل الدلالي مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها، يجمعها صنف عام مشترك بينها، وتُعدّ هذه النظرية بإدماج الوحدات المعجمية المشتركة في مكوناتها الدلالية في حقل دلالي واحد وذلك نحو: أخضر، أحمر، أزرق، أسود فكلها يشترك في حقل الألوان<sup>26</sup>، "وهو مصطلح لغوي يعني وجود بعض الكلمات التي يمكن أن ترتبط معاً في معنى عام يجمعها، بحيث يُمكن أن تصنّف كلّ كلمات اللغة أو أكثرها في مجموعات ينتمي كلّ منها إلى حقل دلالي معين، ويُحدد كلّ منها عناصر الآخر كما تحدّد هذه العناصر عن طريق بيان مركزها في حقولها الدلالية"<sup>27</sup>، وربما نجد معظم الكلمات في اللغة العربية تدخل تحت مصطلح (الحقول الدلالية) مثل الكلمات الدالة على النباتات والطيور والأطعمة والحيوانات، وقد بدأ تطبيق فكرة الحقول الدلالية على أيدي علماء اللغة الغربيين في العشرينيات في القرن العشرين، في ألمانيا وسويسرا، من أتباع "هوبلدت" ومن رواد "تريير" (Trier) و"إسبن" (Ispen) و"جولس" (Jolles) و"بروتسج" (Prozig)،<sup>28</sup> واستعمل تجنر، Tegner ' مصطلح حقل في مقالة له بعنوان: 'تقديم أفكار الحقل اللغوي' في عام 1844م. واعتبر 'هوبلدت' Humboldt، الجد



الروحي الأعلى لهذه النظرية، وكان هو و'هوردر' Herder من الرواد في ألمانيا، وقد دعا هومبلدت إلى دراسة اللغة دراسة عقلية، واعتمد على أن العقل لا يدرك شيئاً إلا إذا قارنه بغيره، ففكرة ربط اللغة بالعقل ترجع إليه، أما شيوع المصطلح بوصفه مفهوماً لغوياً فإنه يعود في البداية إلى 'هوسرل'

و'دي سوسير' اللذان اعتقدا أن كل كلمة تحاط بشبكة من الخواطر والأفكار، التي ترتبط من خلالها بالكلمات الأخرى، فهذه التداعيات ترتبط بالمفهوم والصيغة، حيث تمتد إلى المعنى وإلى الشكل ففكرة دي سوسير عن القيمة اللغوية تتصل بنظرية الحقل الدلالي، وتزداد قيمة بعض الكلمات من خلال اتصالها بالأحرى، كما أن قيمة الكلمة تختلف في لغة ما عنها في لغة أخرى.

وأشار 'إبسن' Ipsen إلى فكرة الحقل الدلالي قائلاً: وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك كلمات خاصة لا تقف وحيدة في اللغة، ولكنها ترتبط بمجموعة دلالية، ولا يعني ذلك بأنها مجموعة اشتقاقية.

وهكذا توالى الدراسات والأبحاث وكلها، كانت إشارات لم تبلور إلا عند 'تراير' Trier الذي اعتبر مؤسس هذه النظرية، وقد استخدم تراير مصطلح الحقل اللغوي أو مصطلح حقل الكلمة، فحقله يرمز إلى شيء بين الكلمة المفردة ومخزون الكلمة العام.

'فتراير' ركز على المفهوم من خلال الكلمات، وكان يختار اللغة أولاً، كأن تكون مثلاً إنجليزية أو ألمانية أو فرنسية ثم يربط بين الكلمات، و'هومبلدت' لم يحدد اللغة، أما 'سوسير' و'تراير' فقد حدداها.

وقد كان انشغال تراير بالثروة اللفظية للغة الألمانية وتتبع التغيرات التي تطرأ عليها. مرور الزمن سبباً في اهتمامه بالحقل، وقد تأثر تراير بهومبلدت و'دي سوسير' و'فايسجرير' الذي انشغل نظرياً وعملياً ببناء حقول الكلمات، وميز في ذلك بين الطبقات أو القطاعات في الحقل الواحد، ويكون قد تجاوز بذلك تراير، ولم تقتصر دراسات نظرية الحقل الدلالي على الرواد فقط، بل هناك علماء آخرون أسهموا في تطور هذه النظرية، وهم أصحاب القواميس الذين نظموا المادة اللغوية حسب الموضوعات<sup>29</sup>. ونجد أن 'لايبنتز' Leibniz من أوائل الذين اقترحوا القيام بعمل قاموس يؤسس منهجه حسب أنواع الأشياء أو الموضوعات أما أول تحقيق علمي لقاموس مرتب حسب الموضوعات الدلالية فقد وجد عند 'روجت' Roget عام 1852، وعد هذا القاموس مثلاً للقواميس الألمانية والفرنسية والأسبانية، إلى أن وصلت الدراسات إلى عمل أحدث معجم يطبق نظرية الحقل الدلالية وهو معجم (Greek New testament).

وهكذا توالى الدراسات الدلالية وكلها تخدم نظرية الحقول الدلالية، قام بها علماء ألمان وسويسريون وفرنسيون وأسبان ودانمركيون وأمريكان وإنجليز، كل منهم في مجاله ومن مفهومه ومنظوره، وقد ساهمت هذه الدراسات في تطور نظرية الحقول الدلالية.

ويعود الفضل إلى الألماني "تراير" في بلورة نظرية الحقول الدلالية وإخراجها نظرية متكاملة، وقد قدمت هذه النظرية عدداً من المقولات أهمها:

- أن المعجم مبني من مجموعات من المفاهيم الوثيقة الترابط تمثلها مجموعات من المفردات، وهذه المجموعات المفهومية تندرج من الأعم إلى الأخص ومعاني الكلمات داخل كل حقل تحدد وتعين بناءً على ما يشاركها من مفردات أخرى في الحقل.

- كل حقل دلالي مكون من عنصرين هما:

- الأول مفهومي، والثاني معجمي.

- والحقل الدلالي يتكون من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة، التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معانها في علاقتها بالكلمات الأخرى، فلا يفهم معاني مفردات التقديرات : ممتاز، جيد جداً، جيد، مقبول إلا بمقارنتها ببعضها.

- تتكون الحقول الدلالية من كلمات أساسية ذات مفاهيم مركزية، وأخرى هامشية، وخصائص الكلمة الأساسية أن معناها غير مأخوذ عن معنى غيرها، فألفاظ الألوان في اللغة العربية يوضح ذلك، فإذا أخذنا اللون: الأبيض، الأسود، الأحمر هي ألوان أساسية غير مأخوذة من أسماء أخرى بينما الرمادي، البرتقالي، البني غير أساسية لأنها مأخوذة من غيرها وهي : الرماد والبرتقال والبني.

- يختلف حجم الحقول الدلالية وحيزها المكاني باختلاف مجالات واهتمامات الإنسان، ويُعدُّ مجال الكائنات والأشياء من أكبر المجالات ويليه مجال الأحداث ويتبعه الجردات، وفي آخر المراتب ما يتصل ويرتبط بالعلاقات، ويختلف حجم المادة المعجمية في الحقل باختلاف الثقافة والعصر، فمثلاً حقل الجمل في العربية الفصحى الكلاسيكية يُعدُّ ضخمًا جدًا، بينما في اليابانية أو لغة الإسكيمو لا يشتمل إلا على كلمة واحدة، بينما يحدث العكس تمامًا إذا أخذنا لفظة "جليد وثلج" ففي لغة الإسكيمو تعتبر من أكثر الحقول المعجمية ثراءً لفظيًا وفي العربية حجم اللفظة يعدُّ أصغر بكثير من لفظة الإسكيمو<sup>30</sup>.

" وقد أعدت معاجم عديدة وفق هذه النظرية وأشهر الحقول المتناولة ( القاربة، الأمراض، الطبخ، قطع الأثاث، ألفاظ الأصوات ..) وأشهر معجم حديث هو معجم Roget ثم Greek new testament، ودراسة معنى الكلمة، وفق هذه النظرية تكون من خلال الكلمات المتصلة بها دلاليًا، ومعناها هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل على مذهب "جون ليونز" ويشار إلى أن هذه الفكرة عرض إليها دي سوسير في محاضراته، حينما تحدث عن علاقات التداعي بين ( ارتاب، خشي، خاف ..)، كما ذهب إلى أن ( الشمس) مثلًا لا تفهم إلا داخل محيطها<sup>31</sup>، وطبقا لذلك فإنه لا يمكن البحث في هذه النظرية عن طريق تجريد الكلمة كوحدة معجمية (Lexime) بل يجب أن تعامل الكلمة بوصفها جزء من السياق situation الذي ترد فيه، بحيث يتحدد معناها ضمن بقية عناصر الجملة التي هي جزء منه.

ولا يمكن إغفال التركيب النحوي الذي يحدد معنى الكلمة، عن طريق بيان موقعها الوظيفي الذي تشغله، سواء كان حيز المفعولية، أم الفاعلية أم الخبرية أم الإضافة... الخ.

وتنقسم الحقول الدلالية إلى ثلاثة أقسام هي :

1- الحقول المحسوسة المتصلة: مثل ألفاظ الألوان

2- الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة: مثل ألفاظ القاربة

3- الحقول التجريدية: مثل ألفاظ الفكر والثقافة

- والحقول التجريدية أهم الأنواع في نظرية الحقول الدلالية ذلك لأن معظم كلمات اللغة تجريدية، وعلى ضوء هذه الأقسام يمكن أن نقسم ألفاظ اللغة إلى ثلاثة أقسام، فهناك كلمات محسوسة الدلالات متصلة، وهناك كلمات محسوسة الدلالات منفصلة العناصر، وهناك مجردة، فالكلمات المحسوسة المتصلة مثل: كلمات ( أحمر، أخضر، أصفر) والكلمات المحسوسة منفصلة العناصر مثل: (عم، خال، أب، أم، جد، جدة) والكلمات المجردة مثل :

( ذكاء، حذس، خيال، خير، إيمان)، ويرى تراير أن الحقول الدلالية بأنواعها السابقة غير منفصلة، بل هي مرتبطة معًا في شكل حقول أكبر، وهكذا حتى تنحصر الكلمات كلها<sup>32</sup>، أما أحمد مختار عمر فقد عقب على هذا الرأي بأنه "من الممكن - تبعًا لهذا- أن نخصص حقلاً للحرف والمهن وحقلاً للرياضة، وحقلاً للتعليم، ثم نجمع كل هذه الحقول تحت



حقل واحد يشملها جميعا، هو النشاطات الإنسانية " 33 إذن فتصنيف المعارف ونظرية الحقول الدلالية نَبَّهَتْ علماء اللغة إلى وضع معاجم مرتبة حسب المعاني والمفاهيم الدلالية، وألفوا رسائلهم اللغوية التي جمعت الحقول الدلالية المتصلة بموضوع ما. هكذا ارتبطت نظريات الدلالة بالمعنى وتشرح طبيعته وتفسره وتصنفه إلى أنواع مختلفة تبعا لمعايير متنوعة.

## المراجع

- <sup>1</sup> ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986، ص56
- <sup>2</sup> ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص82
- <sup>3</sup> ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص56
- <sup>4</sup> ينظر: ميشال زكرياء، الألسنية، علم اللغة الحديث، ص180/178
- <sup>5</sup> منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، ص83
- <sup>6</sup> أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص55
- <sup>7</sup> ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص386/385
- <sup>8</sup> المرجع نفسه، ص386
- <sup>9</sup> المرجع نفسه، ص386
- <sup>10</sup> ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، ص84
- <sup>11</sup> ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص57
- <sup>12</sup> محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص96
- <sup>13</sup> منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، ص85
- <sup>14</sup> ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص97
- <sup>15</sup> أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص57
- <sup>1</sup> ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص86
- <sup>2</sup> ينظر: خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص178
- <sup>16</sup> محمود السعران، علم اللغة، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة 1999، ص248
- <sup>17</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص248
- <sup>18</sup> ينظر: محمود السعران، علم اللغة، ص251/250
- <sup>19</sup> ينظر: عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، ص375
- <sup>20</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص378
- <sup>21</sup> ينظر: محمود السعران، علم اللغة، ص252/251
- <sup>22</sup> خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص81
- <sup>23</sup> ينظر: محمود السعران، علم اللغة، ص253/252
- <sup>24</sup> ينظر: المرجع نفسه
- <sup>25</sup> صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008، ص39
- <sup>26</sup> ينظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004، ص33
- <sup>27</sup> أحمد عارف حجازي عبد العليم، الحقول الدلالية، ص11
- <sup>28</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص13
- <sup>29</sup> ينظر: محمود جاد الرب، نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية، 1992، ص224/71
- <sup>30</sup> ينظر: سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة، ص65/64
- <sup>31</sup> خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص187
- <sup>32</sup> أحمد عارف حجازي، الحقول الدلالية، ص16
- <sup>33</sup> أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص107